دور الفيلم الوثائقي في تعزيز الذاكرة البصرية للقضية الفلسطينية
-دراسة تحليلية لعينة من الأفلام -
The documentary's role in enhancing the visual memory of the Palestinian cause
- Analytical study of a sample of films -

د/كريمة عرامة

جامعة باجي مختار، عنابة (الجزائر)

k.arama@yahoo.com

تاريخ الارسال: 2023 /09/15 تاريخ القبول: 2024/06/08 تاريخ النشر: 2024/06/15

ملخص: *تشكّل القضية الفلسطينية موضوعا غنيا بتفاصيله، وفرصة سانحة لتكون موضوعا محوريا في الأنواع الإعلامية، ومن ذلك "الفيلم الوثائقي" الذي اتجه إلى استغلال الفرصة، فكيف تناولت الأفلام الوثائقية القضية المركزية بما يعرّف بها ويعزز الذاكرة البصرية لفلسطين؟ وعليه هدفت الدراسة إلى بيان كيفية توظيف الوثائقي في التعريف بالقضية، واستخدمنا المنهج التحليلي مع أداة تحليل المحتوى التي طبقت على عينة مختارة.*

وانتهت الدراسة إلى نتائج أهمّها، أنّ الوثائقي يعتمد الأسلوب التوثيقي والواقعي في المعالجة، كما يوظف الأسلوب الإبداعي الذي يعيد إنتاج اللّحظة ويجعلها في سياق درامي يساهم في التعريف بالقضية، وأنّه وباهتمامها بالمضامين النوعية والأشكال الموظفة ببصيرة، يعدّ وسيلة فعالة في الإحاطة بالأحداث والتوعية، فيتجاوز بذلك دوره من مجرد التعريف إلى تعزيز الذاكرة البصرية لفلسطين.

الكلمات المفتاحية: *الفيلم؛ الوثائقي؛ التعريف؛ الذاكرة البصرية؛ القضية؛ الفلسطينية؛*

***Abstract**: The Palestinian issue is an important topic rich in detail, an opportunity to be pivotal, and an urgent need to benefit from media productions for this purpose, such as the "documentaries" that have tended to address the issue. Accordingly, the study aimed to demonstrate how content and forms are used in publicizing the Palestinian issue, and we used the analytical descriptive approach with the content analysis tool applied to a selected sample.*

The study concluded with a number of important findings, namely, that documentaries adopt a realistic documentary approach to processing, it also adopts a creative approach based on the reproduction of the moment that contributes strongly to the visibility of the central issue and its most important sub-issues. and that it is an effective means of monitoring the most important events and its insight into qualitative content and forms and highlighting the suffering of the people and thus going beyond their role from mere definition to enhancing Palestine's visual memory and thereby promoting legitimate rights and condemning occupation.

***key words:** Film; documentary; The case; The Palestinian question; Familiarization with issues.*

مقدمة:

واجهت القضية الفلسطينية ولا تزال تواجه كثيرا من التحديات التي تهدد وجودها وتحصر دائرة الاعتراف بها على جميع الأصعدة بهدف طمس معالم الدولة الفلسطينية وشرعنة الاحتلال الإسرائيلي؛ وهو ما دفع المؤمنين بالقضية -ومنهم بعض السينمائيين-إلى إنتاج أعمال توثيقية نقلوا عبرها هموم الشعب ومعاناته إلى العالم، وبأساليب مختلفة ومن خلال كل أنواع الأفلام ومن ذلك الأفلام الوثائقية.

وقد ثبت أنّ الفيلم الوثائقي -كمادة سمعية بصرية- في عصرنا الحالي يقوم بدور مؤثر وهام في التعريف بالقضايا ومقاومة محاولات الطمس، والمساهمة في إثراء الأرشيف الفيلمي حولها، والتأثير في صناعة القرار السياسي، بل التأثير في مختلف السياسات؛ واكتسب"الفيلم الوثائقي" هذه القدرة لأنّ فلسفته تقوم على الواقع ومحاكاته لاستنطاق الحقائق وتوضيح مسار الأحداث، بأسلوب يظهر تفاصيل مغيَّبة عن المشاهد بسبب عدم إدراكه الواقع من زواياه المتعددة، أو لبعده عنه جراء مختلف الأحداث، وفي تناوله للقضية الفلسطينية، استطاع أن يرصد أحداثها وأظهر جوانب كثيرة من الحقيقة حولها وعرّفها وفسّرها وعلّق عليها.

وقد ركزت كثير من الدراسات على هذا النوع وما يقدمه حول القضية، ومع ذلك فإنّ المسكوت عنه أكثر بكثير ممّا تم دراسته، وما يزال المجال يحتاج إلى زيادة تسليط ضوء؛ وبناءً على ذلك انطلقت فكرة إنجاز هذه الورقة البحثية، من خلال التركيز على متغير الفيلم الوثائقي وبعض القضايا الفرعية للقضية الأم.

الإشكالية:

تعتبر الأفلام الوثائقية نوعا إعلاميا لا يساعد فقط على فهم عالمنا ولكن على استيعاب دورنا فيه، باعتبارها سلسلة ثقافية تحمل في جوهر مادتها العامل المؤثر القادر على تغيير القيم الفكرية والأخلاقية التي تحكم سير ركب مجتمع ما، وهذا ما أكدته باتريشيا أوفر هايدي في قوله أن الأفلام الوثائقية أداة للتواصل المهمة في تشكيل الواقع فهي تجذب وترفِّه عن المشاهد كما تشكل عنده الصور عن كثير من القضايا.

وهكذا أصبحللوثائقي أهمية كبيرة خاصة في ظل انخفاض معدلات القراءة، وقلة توفر المراجع السياسية والتاريخية العميقة، ثمّ أنّه يُلخّص كثيرًا منها، ويروي الأحداث على لسان المؤرخين والخبراء وشهود العيان في ساعة مرئية، وبالتّالي أصبح يشكّل مصدرًا مُشوِّقًا للمعرفة، وأداة في التعريف والإقناع وتشكيل الرأي العام؛ وقد استهوت القضية الفلسطينية بعض المشتغلين على هذا النوع، وتناسبت مع العدسة الوثائقية وجعلتها أصدق وأقرب لأن هذه القضية تنطوي على قدر كبير من الدّراما الواقعية التي لا تحتاج لسيناريو متخيَّل أو مبتكر. ومن هنا انطلقت هذه الورقة من تساؤل رئيسي مفاده: كيف يُعرّف الفيلم الوثائقي بالقضية الفلسطينية ويعزز ذاكرتها البصرية؟

التساؤلات الفرعية:

- ما أهم المواضيع التي ركّزت عليها أفلام العينة للتعريف بالقضية الفلسطينية؟
- ما القيم الواردة في الأفلام لرسم ملامح الإنسان والمكان والزمان في فلسطين؟
- ما طبيعة اللّغة المستخدمة في الأفلام الوثائقية كأداة للتعبير وإيصال الرسالة؟
- ما هي الإستمالات الإقناعية الموظفة في محتويات عينة الدراسة؟
- ما أهم الأساليب الفنية المستخدمة في الأفلام لإبراز الجوانب الخفية للقضية؟

الأهداف:

- الكشف عن أهم الموضوعات التي ركزت عليها الأفلام للتعريف بالقضية الفلسطينية.
- النظر في أهم القيم الواردة في الأفلام لرسم ملامح الإنسان والمكان والزمان.
- تحديد مستوى اللّغة ومدى قدرتها على تبليغ الرسالة المعرِّفة بالقضية الفلسطينية.
- الوقوف على أكثر الإستمالات الإقناعية الموظفة في الأفلام ومبررات ذلك.
- التعرف على الأساليب الفنية المستخدمة في الأفلام للتعريف بالقضية الفلسطينية.

منهجية الدراسة:

● **نوع الدراسة:** تندرج هذه الدراسة ضمن الدراسات الوصفية التي تهدف أساسا إلى التعرّف على ظاهرة معينة بطريقة تفسيرية، خاصة وأن ما يُراد دراسته يقوم على تحليل الحقائق تحليلا دقيقا، وينصب على الوقت الحاضر.(عمران، صفحة 118) ثمّ أنّ هذا النوع من الدراسات يتميز بكونه ذو أهمية خاصة في مجال الدراسات الإنسانية، لاسيما وأنه يستخدم للتعريف بالظاهرة دون زيادة.

●**منهج وأداة الدراسة:** يستوجب إجراء أي بحث تحديد الأسلوب أو المنهج الذي يتناسب مع الموضوع المعالَج لأنّه يُعين في الاقتراب من الظاهرة والوصول إلى الهدف الذي يحدد مسبقا. (شلبي، 1997، صفحة 12)وقد استخدمنا المنهج الوصفي التحليلي، وذلك لأنّه أكثر ملاءمة للموضوع والأنسب لتسجيل وتفسير مختلف المعطيات المعالجة للظواهر والقضايا والوصول إلى بيانات تمكّننا من وصف المحتوى الضمني والصريح للمادة قيد التحليل.(بن مرسلي، 2006، صفحة 286)

واعتمدنا على أداة تحليل المحتوى لكونها من أبرز الأدوات التي تستخدم في البحوث الإعلامية بهدف كشف المضامين وما تطرحه من قيم وأفكار واتجاهات"(عبد الحميد، 2009، صفحة 55) فهو الأداة التي تمكّننا من فهم كيف تُعرِّف مضامين الأفلام الوثائقية بالقضية الفلسطينية وتعزز بذلك ذاكرتها البصرية، وذلك بعد صياغة استمارة تحليل المحتوى وتحديد فئات ووحدات التحليل.

●**مجتمع الدراسة:** يتمثّل مجتمع الدراسة في الأفلام الوثائقية التي تعالج مختلف القضايا الفلسطينية للتعريف بها وتشكيل ذاكرة بصرية يصعب طمسها.

● **عينة الدراسة:** للعينة جانب كبير من الأهمية فعليها تتوقف أمور كثيرة، وتعتبر جزءًا من الكل أي بنسبة معينة من أفراد المجتمع الأصلي. (زرواتي، 2008، صفحة 267)واعتمدنا في دراستنا على العينة

القصدية وتمثّلت في عدة أفلام وثائقية وهي: "نائلة والانتفاضة"، "معركة القدس"، "مولود في غزة"، "أن تكون لاجئا"، "فلسطين 1920"وتمّ اختيارها بطريقة تحكّمية لتوفرها على ما نريده من بيانات.(زرواتي، مناهج وأدوات البحث في العلوم الاجتماعية، 2007، صفحة 334)

وأمّا عن الأساليب الإحصائية المستخدمة في هذه الدراسة فتمثلت في التكرارات والنسب المئوية.

1. الفيلم الوثائقي: يعدّ الفيلم الوثائقي من المواد المرئية المهمة ثقافيا وإعلاميا وتعليميا، وانعكس ذلك على الاهتمام بهذا النوع بشكل ملفت من قِبَل الباحثين ومنتجي الأفلام الوثائقية ومخرجيها. (سهير و سامية أحمد، 1997، صفحة 143)

1.1. أهم الموضوعات والمضامين التي عالجتها الأفلام الوثائقية عبر تاريخها: شكّل الواقع والحقيقة والفكرة الموضوعات الرئيسية للفيلم الوثائقي وهدفها الدائم على مدار تاريخها، رغم أنّه لم يكن مقصودا في بداياتها، إذ هيمنت الطبيعة التوثيقية على أفلام السنوات الأولى (أفلام الأخوين لوميير وغيرهما).(Haggag, 2014, p. 5)

وقد تنوعت موضوعات ومضامين الفيلم الوثائقي حسب السياق التاريخي كالآتي:

-**موضوعات ومضامين و اقعية:** وشكلت البدايات، حيث تميزت أفلام السنوات الأولى من تاريخ هذا النوع بسعيها لتوثيق وتسجيل الوقائع والأحداث الاجتماعية.

-**موضوعات ومضامين مرحلة ما بعد البدايات:**ركّز مخرجو هذه الفترة على تسجيل مشاهد أفلامهم بصورة أمينة إلى حد ما، ممّا هو موجود أصلا في الحياة مباشرة، واجتهدوا في أن تكون أفلامهم كما لو أنها مادة خام حقيقية للعالم الحقيقي واستخدمت لأغراض معرفية وحتى علمية.(شريفي، 2022، صفحة 57)

- **موضوعات ومضامين الأفلام الوثائقية من العشرينيات حتى نهاية الخمسينيات:** وهي مرحلة النضج وشملت مواضيع كرّست تيارات عدة بدأت بالرومانسية التي قادها "فلاهرتي" و"جريرسون" حيث أنتجوا أفلاما انطوت على رغبة جادة وصادقة في الاحتفاء بالإنسان في علاقته مع الطبيعة، وسعيه في سبيل البقاء؛ ثمّ الواقعية والتي برز فيها والتر روتمان الذي صبغ أفلامه بالطلائعية وقربها من المدرسة الروسية وعارض المدرسة الأمريكية؛ فالكينو-برافادا التي تأسّست على الأشرطة الإخبارية وتزعّم هذا التّيار دزيغافيرتوف الذي شاع عنه مقولة " أن الفيلم يصنع في مرحلة المونتاج وعارض بذلك "واقعية الكاميرا" التي بُني عليها الفكر السينمائي التجاري، ثم كانت الأفلام ذات الدور الدعائي الأيديولوجي، كأداة في المعركة ووسيلة تأثير، وهي أفلام صنعت بهدف صريح، وهو إقناع المشاهدين بموقف ما أو بفكرة ما، وكانت في فترة ازدحمت بالأحداث السياسية الساخنة وبصدام الايديولوجيات، وخلفت موضوعات مختلفة في السياسة والاجتماع.(أوفر هايدي، 2013، الصفحات 32-42)

-**موضوعات ومضامين الشؤون العامّة (بعد الخمسينات إلى الثمانينات):** يمكن القول أن فترة الستينات، كانت مرحلة مخاض فكري كبرى على مستوى العالم بأسره، أعيد فيها التفكير بكلّ الآثار

المدمّرة للحرب العالمية الثانية، والمبادئ والبنى الفوقية النخبوية لعصر الحداثة، وهو مخاض كانت الأفلام الوثائقية في عمقه، وأداته، وأهم وسائله في التعبير عن المشاكل السياسية والاجتماعية (الشؤون العامة)، وكان ذلك في زمن الدخول إلى مرحلة توحّش الرّأسمالية، وقد ساد التّقابل بين الواقعية الغنائية للسينما الوثائقية السوفيتية، التي تمجّد أيام النّضال في الحرب العالمية الثّانية، والتّقريرية شبه الصحفية في رصد الواقع للوثائقية الانجليزية، والدعائية المباشرة للوثائقية العربية، والسّرد الفيلمي التوثيقي المتجه نحو الذاتية في الوثائقية الأمريكية، والواقعية الجديدة في السينما الأوربية(عيسى، 2020، صفحة 128)ولم تعد سينما الواقع ثورية، وفقد المنهج الواقعي مطلع السبعينات جديته لكنّه لم يفقد واقعيته.

وفي عصر الانفلات التكنولوجي بدأ الفيلم الوثائقي يأخذ صِيَغا متعددة كما أصبحت موضوعاته متنوعة جدا، مما أتاح له معالجة أدق تفاصيل الحياة الإنسانية،وأصبح بذلك مسايرا للتحولات الكبرى في الفلسفة والسياسة والاقتصاد والاجتماع في الألفية الثالثة.(خليفي، 2014، صفحة 14)

- **الموضوعات السياسية:** تعدّ السياسة من أهم موضوعات الإعلام عموما، ومن أهمّ موضوعات الوثائقي خصوصا، ربما للبحث المتعمق الذي يجريه فريق الإنتاج بشأن القضايا السياسية أو لاعتماد الوثائقي على غريزة الفضول، وارتبط تطوره تاريخيا بتطور ونشاط الحركات السياسية، وركّزت هذه الأفلام على فضح أنماط السيطرة الهيمنة والقمع وجعلتها موضوعها الرئيسي. (عيسى، 2020، صفحة 123)

2.1. خصائص مضامين الأفلام الوثائقية: من أهم ما يميّز الفيلم الوثائقي ما يلي:

- **الآنية ومركزية الو اقع الفعلي والعلاقة بقضايا الساعة:** إذ ينطلق الوثائقي من الإحساس بالواقع الفعلي، ويدعم الموضوع بتفاصيل عن "أنثروبولوجيا" المكان والزمان؛ ويضفي صبغة المباشرة على الأحداث.

- **هيمنة المكان والزمان والفكرة على الشخصية:**حيث المكان والزمان مركزيان ويتجاوزان الديناميكية الداخلية للشخصيات، كما أنّ الفكرة تهيمن على مجرى الفيلم؛ و ما هو عام هو القصد، والشخصي مجرد توطئة.

- **طبيعة صراع الشخصية الرئيسية:** ففي الوثائقي، طبيعة صراع الشخصية تتفرع من هدف القصة، ومن هدف صانع الفيلم، ويكون ذلك تبعا لأهداف سياسية، إيديولوجية وتثقيفية أكثر منه لأسباب درامية.

- **صوت المؤلف أو صانع العمل:**فصانع الفيلم يعتمد خيارات تجعله ذو طبيعة تعليمية أكثر، تخدم هدفا توثيقيا أو سياسيا يدفع إلى تبني وجهة نظر معينة.

- **يخاطب جمهورا محدّدا:** فأثناء الإعداد يُحدَّد الجمهور وعلى أساس خصائصه يكون أسلوب المعالجة، وحجم ونوعية المعلومات، وكيفية تناولها والمستوى اللغوي للتعليق.

-**المباشرة والوضوح:** بالتتابع المنطقي المحكم لعناصره.(شريفي، 2022، صفحة 46)

كل هذه الخصائص تؤهل الفيلم الوثائقي لعرض القضايا والإحاطة بحيثياتها وبيئتها ووصفها بما يساهم في التعريف بها وبما يشكِّل جزءا هاما من الذاكرة البصرية.

3.1. وظائف وأهداف الفيلم الوثائقي: للوثائقي وظائف كالتّعليم والتسجيل التاريخي والدّعاية وأهمّها الوظيفة الإعلامية كونها تشرح المعلومات الجديدة وتفسرها، وتسمح بإبداء الآراء، ومن أهمّ الوظائف الأخرى:

- يقوم الفيلم الوثائقي بتعزيز المجتمعات وذاكرتها وذلك بنقل التراث للأجيال ودعم القيم، ونشر الثقافة العلمية والفنية وتعليم المهارات وترقية الذوق العام، كما ينشر المعرفة لخلق حالة من الوعي والمشاركة ممّا يدفع ويحفز لتسير حركة المجتمع.
- المساهمة في حل المشكلات التي تواجه المجتمع عن طريق عرضها والتوعية حولها.
- تسجيل وتوثيق الأحداث الهامة التي تصبح وثائق تاريخية تربط بين الماضي والحاضر.
- الإعلام بالمنجزات التي تتم في مختلف الميادين بإعطاء المعلومات وتقديم التفسيرات.
- تغير الصور السيئة وتحافظ على الايجابية.(طالب، 2009، صفحة 105)

وحتى تتحقق هذه الوظائف ينصح روي بول ما دسن بمراعاة الاعتبارات الآتية:

- الهدف السلوكي، ويقصد به ما الذي سيفعله المشاهد نتيجة لما شاهده وتعملّه، ثم الجمهور المستهدف، لاختيار الطريقة الفعالة للمخاطبة والتأثير.(عبد النبي، 2014، صفحة 248) فالموضوع، إذ يصبح سهلا أن يختار صانع الفيلم المحتوى الفعال، بعد الهدف والجمهور، ثمّ يأتي الشّكل، وقرار تحديده، يعتمد على الهدف، والجمهور وطبيعة الموضوع؛ وأخيرا التطابق، أي أن يتمتع المُشاهِد بالفيلم متى أحسّ بأنّ محتواه وثيق الصلة به.(عبد النبي، 2014، صفحة 252)

4.1. الأساليب الفنّية في الأفلام الوثائقية: تعالَج الموضوعات وفق الأساليب الآتية:

- **أسلوب كين بيرنز Ken Burns)** وعادة ما يتضمَّن تعليقًا صوتيًا يقرأ وثائق تعود إلى فترة تاريخية ما، بالإضافة إلى الموسيقى والصور التي يتم عرضها على الشاشة في محاولة لاستعادة الماضي ولو للحظات أمام الجمهور.

- **الأسلوب الحقيق الو اقعي:** وهو أسلوب قد يبدو مجرداً من الأهداف الخاصة، مع أنه قد تكون نتيجته النهائية رسالة من نوع ما أو تأثير محدد، ويشابه هذا الأسلوب الصفحات الإخبارية في عالم الصحافة.(شريفي، 2022، صفحة 58)

- **الأسلوب الإبداعي:** يُعتمد هذا الأسلوب حتى لا تقيّد مادّة الفيلم –خاصة إذا كانت تاريخية- المخرج عبر حصره في مقابلة الشخصيات وعرض الأرشيف، حيث يتمّ اللجوء إلى حلول غير تقليدية، لخروج أي وثائقي من القوالب الجامدة المتعارف عليها استنادا إلى بدائل بصرية وموضوعية،وهو ما يسمح بإضافة بعد جمالي ومعنوي للفيلم. ولإضفاء مزيد من الحيوية عليه ومنحه أبعادا أكثر عمقا يمكن أن يبدع صانعو الأعمال في الذهاب نحو ربط الأحداث بالواقع المعاش حاليا، وذلك من خلال مونتاج يدمج

اللقطات الأرشيفية مع اللقطات الحيّة والحديثة؛ وهو ما جعل أحد مخرجي الأفلام الوثائقية يقول أنّ الممثلين هم الذين يعيدون الحياة إلى أحداث تاريخية جافة.

2. القضية الفلسطينية في الفيلم الوثائقي

1.2. القضية الفلسطينية: تحتل القضية الفلسطينية أهمية خاصة في أذهان أحرار العالم، وقد عرفت أرض فلسطين أسيادا مختلفين، كما عرفت اختلاطا كبيرا بين الشعوب، وكانت ذات اقتصاد هام نسبيا، قائم على الزراعة بالدرجة الأولى (فيدال، 2010، الصفحات 355-357)وكان فيها صناعة ناشئة، كما كان الحجاج يقصدون مدنها المقدسة، وكانت الأكثرية الساحقة من سكانها من عرب مسلمين ومسيحيين.

وفلسطين هي البلد المبارك حوله كما يقول الله عز وجل ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ **(سورة الإسراء، الآية 1)**فهي بذلك تحتل أهمية كبيرة لدى المسلمين حتى قال الرسول صلى الله عليه وسلم عنها "لا تشد الرِّحال إلّا إلى ثلاث مساجد المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى".(صالح، 2012، الصفحات 11-12)

والمتتبع للقضية الفلسطينية يدرك أن وجود المحتل لم يأت صدفة، بل نتيجة لتكاثف استعماري غربي وصهيوني، سواء التقى ذلك مع أهداف حل مشكلة اليهود في أوروبا أو التعاطف الديني مع رغبات الصهيونية الدينية.(نوفل، 2000، صفحة 97)

ولم تتوقف معاناة الفلسطينيين بسبب الإرهاب الصهيوني، فالكارثة الوطنية الاجتماعية بسبب نكبة فلسطين أغرقتهم في النسيان لفترة انغمسوا فيها بالبحث عن احتياجاتهم الإنسانية الأولية، من مأوى وعمل ودراسة ثم البحث عن الذات الوطنية، ما دعاهم إلى تقديم التضحيات في سبيل حقوقهم المشروعة من عودة وحق تقرير المصير والدولة المستقرة.(نوفل، 2000، صفحة 97)

وقد مرت القضية الفلسطينية بعدة مراحل أهمها:

-**بداية القضية والمؤتمر الصهيوني الأول:** بدأت منذ1897حين اجتمع اليهود في المؤتمر الصهيوني الأول بسويسرا، بإشراف هيرتزل الذي اقترح فلسطين موطنًا لهم.

-**وعد بلفور1917:** وكان بمثابة وعد من لا يملك لمن لا يستحق، فأثناء الحرب العالمية الأولى،أصدر وزير الخارجية البريطاني بيانا واعدا لليهود بإقامة وطن بفلسطين.

-**ظهور الحركة الوطنية وبداية المقاومة الفلسطينية:** حيث وأمام تزايد الوجود الصهيوني قام الفلسطينيون بعدة ثورات أهمها ثورات 1920 و1929 و1936 و1937. وتطورت هذه الحركات إلى مقاومة مسلحة كان من أبرز قادتها عز الدين القسّام.

- **حرب فلسطين 1948:**كانت بعد قرار تقسيمها عام1947.بقيادة الجامعة العربية.

- **حرب 1967:** سُمّيت حرب الستة أيام وعرفت هزيمة قاسية للجيوش العربية، وبسطت اسرائيل سيطرتها على مساحة كبيرة من فلسطين وبعض المدن العربية.

- **منظمة التحرير الفلسطينية:** لم يجد الفلسطينيون إلّا استئناف المقاومة المسلحة بعد التوقف لمدة، فتأسست منظمة التحرير سنة 1964 ثمّ حركة فتح.

- **الانتفاضة الفلسطينية** – تمثلت في الانتفاضة الفلسطينية الأول –انتفاضة الحجارة-التي سمحت للمقاومة بالاستمرار في الدفاع عن الأراضي، وكانت عام 1987، واستمرت الانتفاضة حتى 1993. ثمّ كانت الانتفاضة الفلسطينية الثانيةالتياندلعت عام 2000 بعد زيارة شارون إلى القدس ودخوله المسجد الأقصى، وتصريحه أن القدس والأقصى يقعان تحت يد إسرائيل. .(صالح، 2012، الصفحات 45-118)

2.2. أهم القضايا الفرعية للقضية الفلسطينية:

- **قضية اللاجئين:** تمثل أحد أبرز عناصر الصراع العربي الإسرائيلي، ونتيجة مبكرة من نتائجه منذ الأربعينات وما قبلها، وتنبع أهمية هذه القضية من طبيعتها، إذ تتعلق بحقوق الإنسان الأساسية لعدة ملايين من البشر.(غنيم، 1963، الصفحات 16-17)ورغم اعتراف المجتمع الدولي بحقوق الشعب الفلسطيني، فإنّه لم يتمكّن حتّى الآن من ممارسة حقّه في تقرير مصيره وفقا للقانون الدولي، لعدم وجوده على أرضه. (حسن، 2002، صفحة 15)

- **قضية المرأة الفلسطينية (كمناضلة وكمضطَهدة):** شكّلت حالة المرأة الفلسطينية، موضوعا أثار قلقا متزايدا لدى الأمم سواء تحت وطأة الاحتلال أو في مخيمات اللاجئين، حيث تعتبر من أشقى نساء الأرض، كونها عانت الاحتلال والتشرد وفقدان الأهل والزوج والأولاد، وواجهت ظروفا صعبة للغاية. (البياضي، صفحة 55)

- **قضية الاستيطان:** ركز المستوطنون على احتلال الأرض واغتصابها من الفلسطينين، وشجعوا الهجرة، وازدواجية الجنسية، وحصر ملكية الأرض بالأوروبيين وباليهود؛ ويؤمن القادة والمجتمع الإسرائيلي بأطيافه أنّ عملية الهجرة والاستيطان بالأرض التي وهبهم إياهم يهوه حق ديني مشروع.(حسين، 2004، صفحة 13)

- **قضية "القدس عاصمة إسرائيل":** وهي قضية محورية يتجنبها السياسيون عادة في الصّراع العربي-الإسرائيلي، وهي قضية صعبة ومعقدة ليس لتعلقها بالهويات الوطنية للجانبين فحسب، بل لتعلقها أيضا بالحساسيات الدينية.(حمزاوي ، 2020، صفحة 93)ومرّت السياسة الإسرائيلية اتجاه القدس بأربعة مراحل، التدويل، التقسيم، رفض جعلها منزوعة السلاح وجعلها عاصمة لها، وهو ما ترفضه فلسطين وتقاومه وتتصدى له.(الرفوع، 2004، صفحة 222)

- **قضية الطفل الفلسطيني:** استهدفت إسرائيل الطفل الفلسطيني من خلال القتل والجرح والاعتقال كجزء من الشعب الفلسطيني المقموع؛ إلى جانب الممارسات المتصاعدة منذ انطلاق الانتفاضة، ولم تكن هذه هي البداية فقد كانت "إسرائيل" تقتل وتعذب الأطفال وتقدمهم للمحاكم العسكرية وتزج بهم في سجونها لسنوات بحجة حماية أمنها، واعتبرت ذلك استراتيجية ردع تكبح التطلعات الفلسطينية في العودة والتحرير؛ وتعددت أبعاد القضية خاصة في ظل كون الأطفال نصف المجتمع.

3.2. دور الفيلم في التعريف بالقضية الفلسطينية: تضطلع الكاميرا بدور هام وثوري في زمن انتقال الثقافة من المكتوب إلى المرئي، وتحول الإعلام ليقوم بأدوار غير تقليدية جعلت منه قوة محورية مساهمة في استقرار ورِفْعة أي مجتمع في حالة السّلم، وسلاح فعال في حالة الحرب؛ وصانع لذاكرة الشعوب.

وتحتل القضية الفلسطينية أهمية خاصة في أذهان أحرار العالم المؤمنين بالقضايا العادلة، وشكّلت فرصة للإعلام ليصبح من أفضل أسلحة الفلسطينيين خلال مراحل صراعهم حضورا وتأثيرا.(عدوي، 2021، الصفحات 60-61)

وبتناوله للقضية الفلسطينية، مثّل الإعلام خطورة بالغة الأهمية على مشروع الاحتلال. لأنّه يدرك دوره المتعاظم في فضح جرائمه، فحاول تحييد الإعلاميين عن الصّراع وحجب الصورة وتشويه المشهد وقلب الحقائق. (عدوي، 2021، صفحة 68)؛ واعتبِر الوثائقي من أهم الأنواع التي عبّرت عن حقيقة الصراع على أرض فلسطين، وهو ما طرحه المخرج «قيس الزبيدي» من أنّ "القضية الفلسطينية وجدت أحضانا دافئة في السينما التسجيلية والوثائقية"،ذلك أنّ الفيلم الروائي حتى في حالاته الجيدة يبقى أسير تقاليد درامية قد تعجز عن طرح القضية بالمستوى المطلوب، وهناك من يرى بأنّ الخيال يظل وسيلة أفضل ويوفر إمكانيات أكثر.(Mesnard, 2003, pp. 45-49)

وكانت ولادة الفيلم الوثائقي حول القضية الفلسطينية محاولة لتحرير الكاميرا، وأيضا من أجل صيانة الذاكرة الفلسطينية من خلال إنجاز أرشيف خاص بالقضية وكل ما يتعلق بها. واتجهت الأفلام في بدايتها نحو صون الذاكرة والتراث بأفلام وثائقية وتسجيلية، ورغم البداية المتعثرة لقلة الخبرة والإمكانات، ورغم بساطتها على المستوى الفني -بتعبير العديد من الدّارسين- لقصور في الثقافة السينمائية عموما والقصور في النظرة السياسية، فقد نجحت في إبراز الجوانب الإنسانية والنضالية للقضية.

وهكذا حاول الفيلم الوثائقي الإلمام بكل القضايا الفلسطينية في سياق التعبئة والفضح، من خلال تنويعات مواضيعه واتجاهاته، وتَداخَل ضمن هذه الأفلام ستة أنواع: التي تصور الأحداث المباشرة-تفضح مزاعم الصهيونية- المُكافِحة للجاسوسية-أفلام الحالة الاجتماعية وواقع المخيمات-أفلام الحضارة والفن الفلسطيني-أفلام تحريضية تتناول جوانب المقاومة بكل دلالاتها وأفلام الأغاني الدعائية، وعرف الوثائقي تحولاته الكبرى مع تحولات القضية الفلسطينية. (Yaqoub, 2018, pp. 4-11)

4.2. الإطار التحليلي: بناءً على ما عرض نظريا والدّراسات السابقة، وبعد مرحلة استطلاعية لمشاهدة الأفلام التي تتعلق بالقضية الفلسطينية، كانت الإجراءات التّالية:

- **بطاقة تقنية لعينة الدراسة:** من أجل تحقيق الهدف من هذه الدراسة والمتمثل في الكشف عن كيفية تناول الأفلام الوثائقية للقضية الفلسطينية للتعريف بها والإسهام في تشكيل ذاكرتها البصرية، تمّ التركيز على عينة أفلام، نصفها كما يلي:

الجدول1: توصيف عينة الدراسة

عنوان الفيلم	البلد	موضوع الفيلم	تاريخ بث الفيلم
أن تكون لاجئا	لبنان	وهو أول فيلم يُحاكي واقع المخيّمات، ويصف تمسُّك اللاجئين بحق العودة رغم المعاناة التي يعيشونها فيها،وحرمانهم من الحقوق المدنية.	4 ديسمبر 2013
مولود في غزة	اسبانيا	يُوثّق مأساة الحرب بعيون الأطفال، بتتبع قصة 10 أطفال عاشوا حصار غزة عام 2014، ويستكشف الآثار الجسدية والنفسية للأحداث على طفولتهم.	2014
نائلة والانتفاضة	أمريكا	يروي حكاية مسيرة استثنائية خاضتها نائلة عايش رفقة حركة عريضة من النّساء في الخطوط الأمامية للانتفاضة الأولى، ويروي النضال الجمعي المشترك.	12 نوفمبر 2017
معركة القدس	الأردن	فيلم يتحدث عن معركة القدس التي خاضها الأردن ضد القوات اليهودية، إبّان انسحاب بريطانيا من فلسطين تمهيداً لإقامة وطن قومي لليهود.	17 ماي 2019
فلسطين 1920	العراق	وهو أول فيلم يكشف مقومات الدولة الفلسطينية وأسرار الاحتلال الإسرائيلي، حيث كشف عن طبيعة الحياة في فلسطين قبل ما يزيد عن مائة عام، وتتبع مقومات دولة فلسطين عام 1920.	2020

المصدر: الدراسة الحالية.

✓وحدات التحليل وفئاته:

- **وحدات التحليل:** هي ما يتم عدّه فعلا، وقد تكون كلمة أو رمزا أو اتجاها عاما، وقد تصل إلى المقالة أو القصة الكاملة، وفي تحليل الأفلام قد تكون الأفراد أو فعل معين أو البرامج كلها. (بدر، 1998، صفحة 42)وتمثلت هنا في المشهد والفكرة والزمن.

- **فئات التحليل:** هو النظام المستخدم لتصنيف المحتوى، ويختلف من موضوع لآخر، (بدر، 1998، صفحة 46)، وقد حددناها وفق الفئات الأكثر شيوعا كما يلي:

فئات المضمون(ماذا قيل؟)

- **فئة الموضوع:** لها أهمية في تحديد ما يدور عليه المحتوى، وتمثلت هنا في: (معاناة الفلسطينيين، المرأة المناضلة، اللاجئين، القدس، الاستيطان، العنف ضد الأطفال).

- **فئة الأهداف:** هي ما يسعى القائم على الرسالة إلى إيصاله، وتتمثل هنا في التوعية بالحقوق والكشف عن الحقائق الخلفية وطرح إشكاليات المجتمع وبناء صورة ذهنية للفلسطينيين وتسليط الضوء على الانتهاكات التي مست الحقوق في المنطقة.

- **فئة الأساليب:** وتتمثل في طريقة عرض وتصوير القضية وقد ركّزنا على الأسلوبين الغالبين: الوثائقي والواقعي ولم نغفل الإبداعي وقد تم تفصيلها في الجانب النظري.

- **فئة الجمهور المستهدف:** وتتعلق بالجمهور الذي استهدفته الأفلام ليتعرف على القضية ومن ثمّة يساندها، ونعني به الجمهور العالمي والجمهور العربي.

- **فئة الفاعل:** ويقصد بها الشخصيات، من شهود الأعيان والشخصية العامة والسياسية والتاريخية والشعراء الأدباء.

- **فئة القيم:** مثل قيمة الاعتزاز والفخر والنضال والصمود والوطنية.

- **فئة الاستمالات الإقناعية:** العقلية: وتقدم الحجج وتفند الآراء المضادة، وتبني النتائج على المقدمات، وتقدم الإحصاءات، وتستشهد بالمعلومات والأحداث الواقعية؛ والعاطفية: والتي تخاطب الحواس لتحقيق الأهداف وتركز على الشعارات والرموز، دلالات الألفاظ، صيغ التفضيل، عرض الرأي على أنه حقيقة، ومعاني التوكيد.

فئات الشكل : كيف قيل...؟

- **فئة اللغة المستخدمة:** وتم اعتماد هذه الفئة من حيث كونها فصحى أم دارجة؟

- **فئة أماكن التصوير:** تستهدف التركيز على الخلفيات المستخدمة في الأفلام بهدف استنتاج المعاني، كالأماكن الداخلية والخارجية.

- **فئة زوايا التصوير:** ونقصد بها أحد العوامل المؤثرة على رؤيتنا للأشياء هي ثلاثة: زاوية النظر، إلى جانب المسافة، مستوى النظر، مما جعلنا نهتم بتحليل هذه الفئة.

- **فئة الصوت:** وهو التعليق الذي يساعد على التحكم بدلالة المشهد والفيلم بشكل عام ويساعد على توسيع حدود الرؤية لدى المشاهد.

- **فئة الموسيقي:** وهي الأنواع الدالة على المعاني المختلفة، بما يتلاءم مع المضامين.

- **تفريغ وتفسير البيانات:**

- **تحليل فئات المضمون:**

الجدول 2: يوضح بيانات حول فئة الموضوع في الأفلام محل الدراسة

فئة الموضوع	التكرار	النسبة المئوية
معاناة الشعب الفلسطيني	15	%25
المرأة كمناضلة	13	%21.66
العنف ضد الأطفال الفلسطينيين	12	%20
اللاجئين الفلسطينيين	9	%15
القدس	11	%18.33
المجموع	60	%100

يتضح من الجدول أعلاه أن موضوع معاناة الشعب الفلسطيني احتل المرتبة الأولى بنسبة 22%، وهذا الأمر طبيعي على أساس أنّ الفيلم الوثائقي هو النوع الأقرب لمحاكاة الواقع، حيث استطاعت هذه الأفلام الاقتراب كثيرا منه ومن تفاصيله، واحتل موضوع اللاجئين المرتبة الأخيرة بنسبة 14%، ولكنّه لا يقل أهمية، إذ لا يوجد فرق كبير جدا في تناول الأفلام للقضايا، خاصة وأنّ مشكلة اللاجئين مثّلت أحد أبرز عناصر الصراع العربي الإسرائيلي، ففيلم "أن تكون لاجئا"مثلا كان الأول من نوعه الذي يلامس المعاناة الفلسطينية في المخيمات في الصميم، ودخل في قلب المشكلة، وانعكاساتها على الأجيال الحالية والمستقبلية، وعلى الرغم من قلة التكرار إلا أنّ المعالجة نوعية، وبين هاتين القضيتين احتلت مواضيع المرأة كمناضلة والعنف ضد الأطفال وتهويد القدس مراتب ذات أهمية كبيرة أيضا، باعتبارها جميعا عناصر مفصلية في الذاكرة الفلسطينية.

الجدول3: يوضح فئة الاستمالات

فئة الاستمالات	التكرار	النسبة المئوية
الاستمالات العقلية	11	%68.75
الاستمالات العاطفية	5	%31.25
المجموع	16	%100

من خلال الجدول أعلاه تبين أنّ الإستمالات العقلية معتمدة أكثر بنسبة 68.75%،واعتمدت في معالجة القضايا الفلسطينية، لأنّ الوثائقي في طبيعته يحاول الاقتراب من سرد العالم الحقيقي، ولا

يعتمد على الأحداث والأشخاص والأماكن المفترضة أو التي هي من صنع الخيال، ولأن المنطق أكثر إقناعا بالقضايا القانونية.

أمّا الاستمالات العاطفية فلم تُعتمَد كثيرا (31.25%)، لأن معظم الأفلام حاولت عرض القضية دون تدخل للمشاعر، وتفسر قلة استخدامها أيضا بمحاولة دفع مغالطة "الناي الحزين" التي تطبع أفلام القضية لاستدرار تعاطف المشاهد، وتفاديا لتحميل الواقع الفلسطيني ما لا يحتمله من مبالغات(البشتاوي، 2021، صفحة 28)، وأمّا استخدامها فلأنّ بعض الجماهير قد تقنع بالتأثير العاطفي، حيث يكون المتلقي أكثر تهيئا للأفكار التي تعرض عليه.

الجدول 4: يوضح فئة الجمهور المستهدف

فئة الجمهور المستهدف	تكرار	النسبة المئوية
الجمهور العربي	60	%66.66
الجمهور العالمي	30	%33.33
المجموع	90	%100

سعت الأفلام إلى نقل معاناة الفلسطينيين، وكان الجمهور العربي جمهورا أوليا بنسبة 66.66 %لاهتمامه بالقضية واعتبارها قضية مركزية، كما يَعدّ نفسه طرفا في الصراع. ودعمه لفلسطين غير مشروط، بل هو واجب نحو أرض إسلامية مقدسة يتعرض شعبها لأسوء أنواع الاستعمار الاستيطاني، وهو موجود دون التّعريف فماذا إذا هدفت الأفلام إلى ذلك والى وتعزيز الذاكرة البصرية التي تسعى إسرائيل جاهدة إلى طمسها.

فيما كان الجمهور العالمي ثانويا إلّا أنّه حاز نسبة لا تقل أهمية، فالقضية الفلسطينية تحتاج إلى زيادة تعريف بأنّها قضية حق وقانونية، خاصة مع جمهور يتلقى معلوماته غالبا من الدعاية الصهيونية، ولأنّ الوثائقي يلغي فرصة التشكيك بالهوية وبأنّ القضية قضية قانونية دولية، ويدفع هذا الجمهور إلى الابتعاد عن الحياد السلبي.

الجدول5: يوضح فئة الفاعل

فئة الفاعل	التكرار	نسبة المئوية
شهود عيان	6	%50
شخصيات تاريخية	2	%16.66
شخصيات سياسية	1	%8.33
شعراء وأدباء	3	%25
المجموع	12	%100

تبيّن من البيانات أنّ شهود العيان هم أهم الفاعلين بنسبة 50%، وهو ما يؤكّد دورهم الكبير في معرفة الحقائق وكشف خبايا لم يتم الإشارة إليها من قبل حول القضية الفلسطينية. كما تمت الاستعانة

بالعديد من الشعراء والأدباء بنسبة25% وذلك للحديث عن الثورة الفلسطينية وكيفية معاناة الشعب مع الحروب، كما في فيلم "نائلة والانتفاضة" وعن اللاجئين الفلسطينيين ومعاناتهم كما في فيلم "أن تكون لاجئا" وأمثلة عن الظلم الذي لحق بالطفل الفلسطيني وهدم حياته، وتم الاعتماد على الشعراء والأدباء لأنهم مصدر موثوق وصادق لرصد الحقائق باعتبارهم ساهموا في الثورة الفلسطينية من خلال كتاباتهم، أمّا الشخصيات التاريخية فقد تمت الاستعانة بهم بشكل أقل(16%)، على أهميتهم في القضية الفلسطينية ذات البعد التاريخي العميق، والذي يتطلب عمقا بحثيا في العوامل التي تتأثر به وتؤثر فيه، فـ"التاريخ ليس هو الحوادث، إنّما هو تفسير هذه الحوادث، واهتداء إلى الروابط الظاهرة والخفية التي تجمع بين شتاتها، وتجعل منها وحدة متماسكة الحلقات، متفاعلة الجزئيات، ممتدة مع الزمن والبيئة امتداد الكائن الحي في الزمان والمكان.."(قطب، 1995، صفحة 37)، فكان جدير أن تحظى هذه الشخصية بحضور أهم، خاصة وأنّ كثيرا من المعلومات التاريخية عن فلسطين مغلوطة، للقراءات غير الموضوعية وغير الناقدة لتاريخها، أما الشخصية السّياسية فجاءت أخيرا بنسبة 8%، وهذا رغم أنّ القضية الفلسطينية تعكس صراعا سياسيا إلى جانب الصراع التاريخي والإنساني، وتفسير ذلك لاعتقاد البعض بأنّ القضية الفلسطينية قضية قانونية دولية بامتياز، ولا يمكن تفرد اشتغال السياسيين بهكذا قضية.

الجدول6: يوضح فئة القيم

فئة القيم	التكرار	النسبة المئوية
الاعتزاز والفخر	10	%11.90
الكرم والجود	4	%4.76
الاهتمام الانساني	25	%29.76
الصراع	15	%17.85
النضال	15	%17.85
الصمود	15	%17.85
المجموع	84	%100

يمكن تفسر غلبة القيم الإنسانية بكون القضية الفلسطينية ذات أبعاد إنسانية كبرى، إذ تمثّل صرخة المظلوم في وجه أدعياء الحقوق، وتكشف المعايير المزدوجة وسوءات النظام الدولي، وتصف بالنفاق حضارةً تزهو بالتقدّم والمعرفة والتكنولوجيا وترعى حقوق الحيوان، بينما ترضى برمي ملايين اللاجئين في العراء.

ثمّ جاءت قيم النضال والصمود لتمرِّر رسالة تفيد بضرورة الحفاظ على الأرض، والتصدي للاحتلال، والتحرر وبناء دولة مستقلة، ثم قيم الاعتزاز والفخر لتؤكد أنّه وبالرغم من السياسات الصهيونية التي تتعامل بيد أمنية من حديد؛ والتي ارتبطت بسياسة التخويف و"الجدار الحديدي" وبالملاحقة والعقاب لمن يتمسك بالقضية، ترهيبا وقطعا للفلسطينيين عن امتدادهم الهوياتي، وتدجين هويتهم بالقوة، إلا أنّها

لم تتمكّن من كسر شوكتهم وبقي الفلسطيني يعتز بهويته وانتمائه، وأخيرا قيم الجود والكرم لتوضح بأن الشعب الفلسطيني رغم التجويع والتّفقير إلّا أنّه لم يفقدها.

الجدول 7: يوضح فئة الأهداف

فئة الأهداف	التكرار	النسبة المئوية
التوعية بانتهاك الحقوق	16	%33.33
بناء صورة ذهنية "القدس الفلسطينية"	08	%16.66
طرح إشكاليات المجتمع	10	%20.83
كشف وتوثيق الحقائق الخلفية	14	%29.16
المجموع	48	%100

يتضح من الجدول أعلاه أنّ التوعية بالحقوق وكشف الحقائق الخلفية جاءت أولا بـ 33.33% و29.16%، باعتبارها أهم الأهداف الرامية إلى كشف حقيقة الصراع الفلسطيني- الاسرائيلي، خاصة في ظلّ وجود دعاية مضادة تريد من خلالها إسرائيل أن تثبت أحقيتها في الأرض، وبذلك أكّدت هذه الأفلام استمرار معاناة الفلسطينين جراء الاحتلال الذي يمنعهم من الحصول على حقوقهم الإنسانية الأساسية ويهدد الأمن الإنساني، ويخل بالوضع الاقتصادي، وبذلك يمكن للوثائقي أن يواكب جهود الدفع إلى مساءلة الكيان الصهيوني، الذي-كما أكدّ خبراء حقوق الإنسان-يقيّد الحياة، ويدفع الفلسطينيين إلى ترك أراضيهم لصالح مستوطنات غير الشرعية.

واتضح أيضا أنّ هنالك توجّهاً ملحوظا نحو طرح مشكلات المجتمع بنسبة20.83%، لأنّ القضية الفلسطينية رغم أنّها تمثّل صراعا سياسيا وتاريخيا إلّا أنّه ترتب عنها العديد من الإشكاليات الاجتماعية كمشكلات المرأة والفقر والبطالة.

وجاء "بناء صورة ذهنية للفلسطينيين" بنسبة 16.66%،دلالة على وعي المشتغلين على الوثائقي بضرورة تكثيف الجهود لصناعة صورة حقيقية عن شعب اغتصبت أراضيه وانتهكت حقوقه، وعلى الرغم من هذا الاهتمام إلّا أنّه غير كاف في ظلّ الحرب الإعلامية المستعرة التي يقودها الكيان الصهيوني لتشويه صورة الفلسطينيين.

➢ **تحليل فئات الشكل:**

الجدول 8: يوضح فئة اللغة المستخدمة

فئة اللغة المستخدمة	التكرار	النسبة المئوية
اللغة العربية	32	%68.08
اللهجة عامية	15	% 31.91
اللغة الإعلامية	00	%00
المجموع	47	%100

تعتبر اللغة نسقا من الإشارات والرموز، وتشكل أداة من أدوات المعرفة وهي أهم وسائل التفاهم والتواصل بين أفراد المجتمع في جميع ميادين الحياة، وترتبط بالتفكير ارتباطا وثيقا، ويعود احتلال اللغة العربية منطقيا المرتبة الأولى بنسبة 68.08 %إلى طبيعة الأفلام والتي في مجملها عربية، إلى جانب طبيعة جمهورها في العموم. وتميّزت لغة العرض برسائل بسيطة تصل جمهور عريض دون تحديد لمستواه العلمي واختلاف لهجاته وثقافاته، بينما استخدمت العامية في عرض أراء شخصيات الأفلام كما في فيلم "فلسطين1920"، وتكون عادة مزيجا من الفصحى والدارجة ولغات أجنبية ترتبط حضارتها مع حضارة المنطقة. وهذا نظراً إلى محاكاة الشخصية باللّهجة التي يتكلم بها، وتوافقت هذه النتائج مع دراسة "عاصم علي الجرادرات" (2009)

جدول09: يوضح فئة الأسلوب

فئة الأسلوب	التكرار	النسبة المئوية
أسلوب كين بيرنز (Ken Burns)	96	% 55.17
الأسلوب الواقعي	57	% 32.75
الأسلوب الإبداعي	21	% 12.06
المجموع	174	% 100

استخدم أسلوب كين بيرنز (Ken Burns) بكثرة بنسبة 55.17% وهو الأسلوب المستعمل في العادة، لحاجة الوثائق -خاصة التي تعود إلى فترة تاريخية- إلى تعليق صوتي يقرأها ويشرحها ويعيد نسج سياقها، بالإضافة إلى الموسيقى والصور التي يتم عرضها على الشاشة في محاولة لاستعادة الماضي ولو للحظات أمام الجمهور لتصل الرسالة، ومعظم أفلام القضية الفلسطينية تتوفر على هذه الوثائق ومنه يفسر تصدر هذا الأسلوب في الاستخدام؛ تلاه الأسلوب الواقعي لأنّ الفيلم الوثائقي بخلاف الروائي يركز على الفكرة بدل الحبكة وعلى الأحداث الواقعية والشخصيات الحقيقية، أمّا الأسلوب الإبداعي فجاء ثالثا

للتخوف من الخروج عن المألوف في صناعة الفيلم الوثائقي وخوفا من مجانبة الموضوعية عند إعادة تمثيل الأحداث، على الرغم من طمأنة البعض بأنّه عندما تكون المحاكاة كاملة ومنفذة بعناية، بحيث تتضافر مع كلام الموثقين الذين يصفون أدق تفاصيل الأحداث وحتى الشخصيات وملابسهم وأسلوب حياتهم، فإنّها تكون كفيلة بجعل المُشاهِد يتورط في أحداث الفيلم. وتصبح بذلك المشاهد الدرامية لبنة بنائية في جسم الفيلم غير منفصلة عن سياقه ولا مُقْحَمة فيه، أضف إلى ذلك أن إعادة تمثيل الأحداث بشخوصها يقرب الصورة الذهنية التي يُراد إيصالها خاصة إذا كانت أحداث الفيلم تدور في زمن لا تتوفر فيه صور حقيقية كافية لتخدم موضوعه. ثمّ أنّ المَشاهد مبنية على حقائق واضحة ومثبتة بالوثائق ويتم تنفيذها تصويرا ومونتاجا وتلوينا بطريقة لا تخرج الفيلم الوثائقي عن وثائقيته ولا تجعله فيلما روائيا رغم جودةودقة تنفيذها.(البشتاوي، 2021، الصفحات 139-141) ومنه فلا مبرر للتخوف من الانخراط في هذا الاتجاه.

الجدول 10: يوضح فئة المكان

فئة المكان	التكرار	النسبة المئوية
مكان الخارجي	30	%75
مكان الداخلي	10	%25
المجموع	40	%100

يساعد مكان التصوير على خلق الجو الطبيعي والسيكولوجي ويوحي بمعانٍ كثيرة، ونلاحظ أنّ التصوير في أماكن خارجية كان الأكثر (75%)، ذلك أنّ المكان الخارجي تكون فيه الإضاءة طبيعية، وتساعد على إظهار الدّمار بوضوح كبير، مثل ما ظهر في معظم الأفلام وتجلّى أكثر في فيلم "فلسطين الوطن"، ومسّ حتى الأماكن المقدسة "المسجد الأقصى" مثل ما ظهر في فيلم "معركة القدس" و "أن تكون لاجئا".

أما الأماكن الدّاخلية(كالبيت والمكتب) فقد استعملت في المقابلات واعتمدت بنسبة. وهكذا يتأكّد التركيز على الأماكن أكثر من التركيز على الأشخاص لما للمكان من قداسة في القضية الفلسطينية، وهو ما أشرنا إليه في النظري أنّ من خصائص الوثائقي هيمنة المكان والزمان والفكرة على الشخصية.

الجدول 11: يوضح فئة الزوايا

فئة الزوايا	التكرار	النسبة المئوية
الزاوية العادية	18	%78.26
الزاوية الغطسية	4	%17.39
الزاوية التصاعدية	1	%4.34
المجموع	23	%100

توصل فيرتوف -وهو ملهم السينما الوثائقية عبر العصور- في قناعاته حول التصوير إلى: أنّ الكاميرا أقدر على الإحاطة بالواقع من العين البشرية، وهو ما جعل المشتغلين بهذا الفن يقولون أنّ ما ينتج من وضع الكاميرا لتصوير موضوع من زاوية ما يستطيع أن يترك بين أيدينا العديد من المعاني والدلالات التي تضفي على زاوية التصوير قوة بلاغية وتأثيرية وطاقة تعبيرية نوعية(مؤنس، 2006، صفحة 56)، فالصورة بذلك آلية التفكير حيال الحدث، وأداة لإعادة صياغة الوعي أو جزء منه بتأثيرات تتجاوز فيها الكلمة والموسيقى والمؤثرات الصوتية، باعتبارها وثيقة مرئية لا يمكن التشكيك فيها.

وأصبح بذلك لكل زاوية دلالة خاصة، فالعادية تمثل إظهار الديكور العام وتعبر عن الأشياء بصفة أكثر واقعية، ويبني المخرج من خلالها صلة مع المشاهد -كونها زاوية تتساوى مع مستوى النظر-حيث يشعر أنه جزء منه وينتمي إليه، وهو ما يفسر استخدام هذه الزاوية بأكبر نسبة (78.26%)، أما الغطسية فوُظِّفت في مَشاهد معيَّنة لإبراز أهميتها، ويُفسَّر عدم التنويع في الزوايا -على أهميتها- ربّما لأنّ الوثائقي له خصوصية أنّه ينهض على مسك الطبيعة وهي متلبسة بالفعل، وهذا يتطلب اقتناص الحقيقة بعيداً عن التكلف في تحديد الزّوايا.

الجدول 12: يوضح فئة الصوت

فئة الصوت	التكرار	النسبة المئوية
حوار	31	%16.84
تعليق داخلي	40	%21.73
تعليق خارجي	20	%10.86
فاصل صامت	93	%50.54
المجموع	184	100%

الصوت في الأفلام الوثائقية لا يقل أهمية عن الصورة فمن خلال توظيفه بالشكل المناسب تتعزز الصورة، وفي بعض الأحيان يمكن للصوت أن يرفع من قيمة التأثير البصري للفيلم؛ وقد سجلنا أنّ الأفلام محل الدراسة ساد الصمت فيها بنسبة 50.54%، وعُوِّض بمشاهد مكثّفة ومؤثرات صوتية مُحمَّلة بدلالات رمزية عالية، تحتمل كثيرًا من التأويل، وهو اتجاه -كما يقول النقاد-تمَلّكَه هاجس الصمت كمعبِّر إبداعي أرقى من كل كلام قد يكون غير مُجْدٍ، وهو ما يُجسّد "أمثولة" ميدانية تقول بالمتتاليات البصرية-الحكائية ما لا يُحسن أيّ نصٍّ آخر- مكتوب أو ملوَّن أو مرويّ- على البوح به؛ لأنها أقدر على ولوج العوالم المخفية، وتحرض المبطّن على الخروج من عزلته.

واستخدم التعليق الداخلي في مقام ثانٍ بنسبة (21.73%)، فكان بذلك عنصرا أساسيا في مكوّنات الفيلم، وهو ما يتوافق مع دراسة"نهلة عبد الرزاق" (عبد الخالق، 2011) من أنّ أغلب الأفلام الوثائقية كان التعليق الداخلي مصاحبا لها، لأن "الحكي" حقّ طبيعي في أن يكون انعكاساً شفّافاً وصادقاً وحقيقياً عمّا يجيش في النفوس أو العقول، ثمّ أنّ الكلام-كما قيل- إذا جاء مُغرْبَلاً من كلّ شائبة أو ثرثرة، يُصبح

الوجه الآخر لصمتٍ يُفكِّك المعاني المصبوبة في الكلمات والجُمل؛ والغاية حينئذ زيادة التوضيح، وإبراز أهمية الموضوع وتفاصيله وحقائقه وواقعيته، عكس التعليق الخارجي الذي إذا كثر اعتماده أضفى رتابة ونمطية على المحتوى، إذ أنه يروي شيئا يؤسس للحكاية أو يشرح ويناقش الأحداث، إذ في الوثائقي، قد ترفض الأذنُ الفيلمَ قبل العين أحياناً لعدم استساغة صوت المعلّق. وهو ما يبرر قلّة استخدامه في أفلام العينة.

أما الحوار فجاء ثالثا وتعددت استخداماته، كتوصيل فكرة وحقيقة معينة، وإيصال الانتماء الاجتماعي، وهو ما كان في أغلب الأفلام المدروسة فالحوارات كانت هادفة تظهر الحياة طبيعية دون تكلف أو مبالغة وتعطي الحقائق مجرّدة عن كل زيف.

الجدول 13: يوضح فئة الموسيقى

فئة الموسيقى	التكرار	النسبة المئوية
لحن النشيد الوطني	1	2.56%
موسيقى حزينة	24	%61
موسيقى سعيدة	4	%10
موسيقى هادئة	10	%25
المجموع	39	%100

نلاحظ في الجدول أعلاه أن الموسيقى الحزينة تصدرت الترتيب بنسبة 61%، حيث ساهمت في تكوين الأفلام لأنها تعطي أحاسيس وأجواء وتصور المأساة، تلتها الموسيقى الهادئة بنسبة 25%، واستعملت في اللقطات الصامتة، حيث كسرت جمود ورتابة العرض وزادت من أهميتها، ورافقت الموسيقى الهادئة كلام الشخصيات ولكن بصوت أخفت تماشيا مع الموضوع وتقليلا للتشويش، ثم الموسيقى السعيدة بنسبة 10%، في حين تم تسجيل لحن النشيد الوطني الفلسطيني 3% فقط.

وَظّفَت معظم الأفلام الموسيقى بجميع أنواعها كعنصر فعّال -معبّر ومؤثر- واستخدمتها بإبداع كعنصر انتقالي يربط بين المَشاهد بسلاسة، دون أن تكون الموسيقى بديلا عن أي شيء في الأفلام الوثائقية، بل إنّها كما أكّد"نجاتي الصلح" "شخصية خفية تقوم بربط الأحداث بعضها ببعض، وتعزِّز المشاعر المصاحبة لبعض المشاهد".(البشتاوي، 2021، صفحة 203)."وهو ما لاحظناه في فيلم "وُلد في غزة"، إذ كانت الموسيقى قيمة مضافة، فلا يمكن لمن يشاهده أن يتجاهل روعة الموسيقى وطريقة توظيفها الذكية، فهي تأسره مع الفيلم بتفاصيله، ففي مشهد النهاية مثلا يشعر المشاهد بأن البحر والموسيقى والطفولة اجتمعوا ليحكوا عن غزة.

وفي مقابل هذا الرأي الذي يعتبر الموسيقى كجزء مكون من هوية الوثائقي، يذهب البعض إلى أنّها ليست الحل الوحيد والأفضل لنقل الأحاسيس؛ فتستخدم في حدود ضيقة لأنّ الواقع في الوثائقي لا يحتاج إلى ما يُحفز المشاهد عاطفيا أو يضعه في أجواء معنية، و هذا الرأي ليس قاعدة أساسية في

الوثائقي، إذ يرى المخرج والمنتج "بشار حمدان" أن الأمر يعود في النهاية إلى الرؤية الفنية للمخرج وتقديره لاستخدام الموسيقى من عدمها، ولكن بشرط عدم المبالغة والتهويل؛ ولا يفوتنا أن نسجل عدم توافق قلة ظهور موسيقى النشيد الوطني على الرغم من الطابع الوطني للقضايا المتناولة.

نتائج الدراسة: بعد التحليل والتفسير انتهينا إلى نتائج تجيب عن التساؤلات أهمّها:

- للفيلم الوثائقي أهمية في إعطاء المعلومات، وتوسيع المعرفة بالأحداث الجارية في فلسطين، والإلمام بأسباب القضية وتطوراتها والجوانب الخفية التي غفلت عنها الأشكال البرامجية الأخرى، وذلك بتنوّع الموضوعات التي تعلّقت بانتهاكات حقوق الإنسان وما تعلق بالمغالطات التاريخية حول القدس والحق في الأرض.
- أكثر القيم الواردة في الأفلام، هي القيم الإنسانية، إضافة إلى قيم النضال والصّمود، وهو ما يجعلنا نميل إلى وصفها بأنّها تَعْتَبِر القضية الفلسطينية "قضية إنسانية"، والمطلوب هو التأكيد على البعد القانوني للقضية.
- استنتجنا أيضا أنّ صنّاع الأفلام استخدموا لغة عربية بسيطة لتأكيد الرسالة الوطنية والإنسانية للإنسان العربي -في المقام الأول- في مختلف بقاع العالم.
- استخدام الإستمالات العقلية كان الغالب لأنّ الموضوع يزخر بالحجج والأرقام والمنطق، ما يساعد في التعرّف على القضية الفلسطينية بعمق.
- في الشخصيات والفاعلين الحضور الأكبر كان لشهود العيان، لقدرتهم على توثيق اللحظة التي يعمل صناع الأفلام على إعادة إحيائها لتعزيز السّجل المصور، والى جانبهم مصادر أخرى ممّا يعزز مصداقية المعلومات ويزيد من واقعية الفيلم.
- تعتمد الأفلام الوثائقية على أساليب فنيّة متنوعة ومنها الأسلوب الوثائقي، والأسلوب الإبداعي، وأنّ للصوت أهمية كبيرة رافق فيه الصمت الكلام وكان التعليق بنوعيه الدّاخلي والخارجي مصاحبا للأفلام لأهميته في زيادة التوضيح.
- أثبتت الدراسة في مجملها أنّ الفنّ عموما والفيلم الوثائقي خصوصا يعتبر أداة قوية وفعّالة، تثقف الجماهير وترفع مستوى وعيهم، وتفكك ببراعة المفاهيم الخاطئة التي تجسّدها الصورة النمطيّة للقضية الفلسطينية.

خاتمة

يعتبر الفيلم الوثائقي جزءاً مهما من الأنواع الإعلامية، خاصة وأنّه لا يساعدنا على فهم القضايا فقط، بل على استيعاب دورنا فيها من خلال توثيق الخبر والمعرفة المستمدة من واقع الحياة واختيارها وانتقائها وإعادة ترتيبها، لذلك كانت دراستنا حول كيفية مساهمة الأفلام الوثائقية في التعريف بالقضية الفلسطينية وتعزيز ذاكرتها البصرية، وكشف الحقائق، وتوجيه الرأي العام على خلفية ارتباط هذا النوع بالواقع، ومن خلال تحليل محتوى عدة أفلام تأكد لنا عدة أمور من أهمها: أنّ الأفلام الوثائقية عالجت هذه القضية المهمّة بتناول مختلف موضوعاتها وقضاياها الفرعية، وذلك من خلال مصادر موثوقة(شهود عيان)، واعتمد مخرجوها على الاستمالات العقلية أكثر لإقناع المتلقي وكشف خبايا القضية بسرد الحقائق والأدلة، وركزوا على الأسلوب الوثائقي الواقعي أكثر في معالجة مضامينها، لتميّزه بدرجة كبيرة من الواقعية، إلى جاني الإبداعي الذي يعد توجّها جديدا في الوثائقي؛ وتبين أيضا أنّ الفيلم الوثائقي يمثل ذاكرة الأمة في مجال الأحداث التاريخية والسياسية، ويمكنه أن يعزز الذاكرة البصرية للقضية.

ختاما وعلى الرغم من مجهودات الأفلام الوثائقية في معالجة القضية الفلسطينية، فإنّ هنالك بعض الآفاق والجوانب التي لم يتم تناولها في هذه الدراسة بالتفصيل والتي تشكل أفاقا لها مثل: دراسة الوثائقي الذي يركز على الأحداث "دون إثارة الشفقة" من أجل تعريف العالم بالقضية الفلسطينية، دراسة قدرة الأفلام الوثائقية على الإقناع بالقضية الفلسطينية على أنّها "قضية حق" و"قضية قانونية دولية"، وتناول إشكالية غياب الجمالي والسردي والإبداعي في الفيلم الوثائقي عن القضية خاصة في بعض جوانبها "كالنكبة"، ونقترح القيام بدراسات تثمن إنتاج هذا النوع من الأفلام وتؤكد على أهميته في إثراء الذاكرة البصرية للقضية الفلسطينية، لما لذلك من أهمية في حفظ وتوثيق القضية وحياة الشعب الفلسطيني بكل تفاصيلها.

بيبليوغرافيا:

- Haggag, Y. (2014). L'espace palestinien à l'époque du Mur - Étude de trois documentaires français. Thèse de Master dans le domaine d'études culturelles. Université d'Alexandrie.
- Mesnard, P. (2003). Filmer la société palestinienne, Entretien avec Rashid Masharaoui. Mouvements, 3(27-28).
- Yaqoub, N. (2018). Palestinian Cinema in the Days of Revolution. United States of America: university of texas press.
- أحمد بن مرسلي. (2006). مناهج البحث العلمي في علوم الإعلام والاتصال (الإصدار 2). الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
- أحمد سعيد نوفل. (2000). الدولة الفلسطينية المستقلة (الإصدار 1). عمان: مركز الدراسات الشرق الأوسط.
- آلانغريش دومينيك فيدال. (2010). الأبواب المائة للشرق الأوسط (الإصدار 1). (ميشال كرم، المترجمون) بيروت، لبنان: دار الفارابي.
- البياضي, ع .(s.d.) .دور الإعلام الفلسطيني في دعم حقوق المرأة الفلسطينية اللاجئة :2013 .كلية الإعلام، جامعة الشرق الأوسط.

- أوفر هايدي, ب .(2013) .الفيلم الوثائقي، مقدمة قصيرة جدا) .ش. الريدي (.Trad ,مصر: مؤسسة هنداوي للكتب.
- بدر, أ .(1998) .مناهج البحث في الاتصال والرأي العام والاعلام الدولي .القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع.
- حسن, ع .(2002) .جسر العودة حقوق اللاجئين الفلسطينيين في ظل المسارات التسوية .مركز الدراسات: القاهرة.
- حسين, غ .(2004) .الاستيطان اليهودي في فلسطين: من الاستعمار إلى الإمبريالية .دمشق: منشورات الاتحاد العرب.
- حمزاوي , ج .(2020) .الاعتراف الأمريكي بالقدس عاصمة لإسرائيل: "تشويه للماضي...وتعقيد للمستقبل ."مجلة الأبحاث القانونية والسياسية.(2)
- خليفي, ج .(2014) .الفيلم الوثائقي .تونس: مركز تطوير الاعلام، جامعة بنزرت.
- زرواتي, ر .(2007) .مناهج وأدوات البحث في العلوم الاجتماعية .الجزائر: دار الهدى.
- زرواتي, ر .(2008) .تدريبات على منهجية البحث العلمي في العلوم الاجتماعية .(éd. 3)الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
- سليم عبد النبي. (2014). الإعلام التلفزيوني (الإصدار 1). دار أسامة للنشر والتوزيع.
- سهير, ج& ,.سامية أحمد, ع .(1997) .البرامج الثقافية في الراديو والتلفزيون .القاهرة :دار الفجر.
- شريفي, آ .(2022) .الفيلم الوثائق بين الاحترافية والممارسة .دار اليازوري: عمّان.
- شلبي, م .(1997) .المنهجية في التحليل السياسي: المفاهيم، المناهج، الاقترابات والأدوات .الجزائر.
- صالح, م .(2012) .، القضية الفلسطينية: خلفياتها التاريخية وتطوراتها المعاصرة .بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات.
- طالب, م .(2009) .الأفلام الوثائقية والبرامج التسجيلية .(éd. 1)الدار العربية للنشر والتوزيع.
- عاطف عودة الرفوع. (2004). الإعلام الإسرائيلي ومحددات الصراع (الإصدار 1). الأردن: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- عبد الحميد, م .(2009) .تحليل المحتوى في بحوث الإعلام .جدة: دار الشروق للنشر والتوزيع.
- عبد الخالق, ن ,2011) .ديسمبر 31 .(دراسة تحليل مضمون للأفلام التسجيلية الوثائقية في قناة الجزيرة الوثائقية الفضائية للمدة من 1-4-2011 ولغاية 30-4-2011 .مجلة الآداب.446-411 ,(98)2011 ,
- عدوي, ع .(2021) .الرأي العام والقضية الفلسطينية .اسطنبول: الملتقى للنشر.
- عمران, م .(s.d.) .البحث الإعلامي ومناهجه وتقنياته .الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
- عيسى, ن .(2020) .الأفلام الوثائقية .سوريا: منشورات الجامعة الافتراضية السورية.
- غنيم, ع .(1963) .قضية اللاجئين .الدار القومية للطباعة والنشر.
- قطب, س .(1995) .في التاريخ فكرة ومنهاج .دار الشروق.
- محمد محمود البشتاوي. (2021). جدل التجارب في الفيلم الوثائقي (الإصدار 1). الأردن: الآن ناشرون وموزعون.
- مؤنس, ك .(2006) .قواعد أساسية في فن الإخراج التلفزيوني والسينمائي .الأردن: عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع.